الصاعقة الحادية والتسعون: أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللوائم(*)

أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللوائم ... علمتُ بما بي بينَ تلكَ المعالمِ
ولكنّني مما شُدهتُ متيَّمٌ ... كسالٍ وقلبي بائحٌ مثلُ كاتمِ
وقفنا كأنا كلُّ وجدِ قلوبنا ... تمكَّن من أذوادنا في القوائمِ(١)
ودُسْنا بأخفافِ المطيِّ تُرابَها ... فما زلتُ أستشفي بلثمِ المناسمِ(٢)
ديارُ اللواتي دارهنّ عزيزةٌ ... بطولي القنا يُحفظنَ لا بالتمائمِ
حِسانُ التثنّي ينقشُ الوشيُ مثلهُ ... إذا مِسْنَ في أجسامهنّ النواعمِ
ويبسمنَ عن دُرٍّ تقلّدنَ مثلهُ ... كأنَّ التراقي وُشّحتْ بالمباسمِ
فما لي وللدنيا ! طلابي نجومُها ... ومسعايَ منها في شُدوقِ الأراقمِ(٣)
من الحِلم أن تستعملَ الجهلَ دونَه ... إذا اتّسعتْ في الحلمِ طُرقُ المظالمِ
وأن تردَ الماءَ الذي شطرُهُ دمٌ ... فتُسقى إذا لم يُسقَ من لم يُزاحمِ
ومن عرفَ الأيامَ معرفتي بها ... وبالناسِ روّى رُمحَهُ غيرَ راحمِ
فليسَ بمرحومٍ إذا ظفروا به ... ولا في الرّدى الجاري عليهم بآثمِ
إذا صُلتُ لمْ أتركْ مصالًا لفاتكٍ ... وإن قلتُ لم أتركْ مقالًا لعالمِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة.
(١) الأذواد: جمع ذود: ما بين الثلاثة والعشرة من الإبل.
(٢) المناسم: جمع منسم: خفّ البعير.
(٣) الأراقم: ذكور الحيّات.

وإلا فـخـانتْني القـوافي وعـاقني ... عن ابن عـبـيـدِ اللهِ ضُعفُ العزائمِ
عن المقـتني بذلَ التـلادِ تلادَهُ ... ومـجـتنبِ البـخل اجـتنابَ المحارمِ
تمنّى أعـاديهِ مـحلّ عُـفـاتِه ... وتحسُدُ كـفّـيـه ثقـالُ الغـمـائمِ
ولا يتلقى الحـربَ إلا بمهـجـةٍ ... مـعظَّمـةٍ مـذخـورةٍ للعظائمِ
وذي لجبٍ لا ذو الجناحِ أمـامَـهُ ... بناجٍ ولا الوحشُ المثـارُ بسـالمِ
تمرّ عليه الشمسُ وهي ضعـيـفـةٌ ... تطالعُـهُ منْ بين ريشِ القـشـاعمِ[1]
إذا ضـوؤها لاقى منَ الطيْـرِ فُرجـةً ... تدوَّر فـوقَ البـيضِ مـثلَ الدراهمِ
ويخفى عليكَ الرعدُ والبْرقُ فوقَهُ ... منَ اللّمعِ في حـافـاتِه والهـمـاهمِ
أرى دونَ مـا بين الفـراتِ وبرقـةٍ ... ضـرابًا يمشّي الخيل فوقَ الجماجمِ
وطعنَ غطاريفٍ كـأنَّ أكـفَّـهُم ... عـرفْنَ الرُّدينيّـاتِ قـبلَ المعـاصمِ
حـمـتهُ على الأعداءِ منْ كلِّ جانبٍ ... سـيـوفُ بني طُغج بن جُفّ القـماقمِ[2]
هم المحسنونَ الكرَّ في حومة الوغى ... وأحـسـنُ منه كـرُّهم في المكارمِ
وهم يحسنون العفوَ عن كلِّ مذنبٍ ... ويحـتـملونَ الغـرمَ عنْ كلِّ غـارمِ
حـيـيُّـونَ إلا أنـهـمْ في نزالِـهم ... أقلُّ حـيـاءً منْ شـفـارِ الصـوارمِ
ولولا احتقارُ الأسدِ شبهْتُهم بها ... ولكنهـا مـعـدودةٌ في البـهـائمِ

(١) القشاعم: النسور.
(٢) القماقم: السادات.

سرى النومُ عني في سُرايَ إلى الذي ... صنائعُهُ تسري إلى كلِّ نائمِ

إلى مُطلقِ الأسرى ومخترمِ العدى ... ومُشكي ذوي الشكوى ورغمِ المراغمِ[1]

كريمٌ لفظتُ الناسَ لما بلغتُهُ ... كأنهمْ ما جفّ من زادٍ قادمِ

وكادَ سروري لا يفي بندامتي ... على تركهِ في عمري المتقادمِ

وفارقتُ شرّ الأرضِ أهلًا وتُربةً ... بها علويٌّ جدُّهُ غيرُ هاشمِ

بلى اللهُ حُسادَ الأميرِ بحلمهِ ... وأجلسَهُ منهمْ مكان العمائمِ

فإنَّ لهم في سرعةِ الموتِ راحةً ... وإنَّ لهم في العيشِ حزَّ الغلاصمِ[2]

كأنكَ ما جاودتَ من بانَ جودُهُ ... عليكَ ولا قاومتَ منْ لم تُقاومِ

(١) الاخترام: الهلاك والاستئصال. المراغم: المغاضب.

(٢) الغلاصم: ج غلصمة: اللحمة الناتئة عند رأس الحلقوم.